Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

انواع الرموز في اشعار فدوى طوقان

رشا حسين نعمه[1]، د. سهاد جادري[2]

جامعه ازاد الاسلامية /كلية علوم تحقيقات- محافظة البصرة/العراق[2&1]

Rasha.husen84@gmail.com

استلام البحث:22-12-2024 مراجعة البحث :27-01-2025 قبول البحث:14-02-2025

الملخص

يتناول البحث الرمز والرمزية في قصائد فدوى طوقان تحليل شامل لأسلوب الشاعرة والرؤية الفنية. يبدأ بمقدمة تبرز مشاعر ومعاناة فدوى، والتي توضح كيف تؤثر تجاربها الشخصية على كتاباتها. بعد إلقاء نظرة على حياتها، حيث يتم تعريفها على أنها واحدة من الأصوات الشعرية المميزة في الأدب العربي.

يمر البحث في مفهوم الرمز والرمزية، موضحًا كيف تستخدم رموز الرموز كوسيلة للتعبير عن أفكارها ومشاعرها المعقدة. يتم تحديد أنواع الرموز التي تظهر في قصائدها، حيث تتم مراجعة الرمز الأسطوري الذي يربط تجربتهم مع الشخصيات القديمة والأساطير، مما يعكس الإلهام الثقافي. يتم تحليل الرمز الديني كذلك، حيث يتجلى المواضيع الروحية ويتجلى البحث عن المعنى في الحياة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الرمز الطبيعي الذي ينعكس في وصف الطبيعة وتأثيره على النفس البشرية، والذي يعطي عمقًا لتجربته الشعرية. كذلك ذكر الرمز التاريخي أيضًا، حيث يستدعي الأحداث التاريخية والتقاليد الثقافية التي تعزز مهمتها. أخيرًا، يتم استكشاف رمز الصوفي الذي يعبر عن البحث عن الحقيقة الروحية والخبرات العميقة في عالم الصوفية.

يتضمن البحث تحليلات دقيقة للآيات المختارة، توضح كيف تتداخل هذه الرموز لتشكيل تجربة شعرية فريدة تعبر عن الحالة البشرية. تعكس هذه الرموز التوترات الداخلية والأسئلة الوجودية التي تشغل فكرة فدوى، مما يجعل شعرها غنيًا بالمعاني والدلالات.

الكلمات المفتاحية: الرمز، فدوى طوقان، الرمز الاسطوري، الرمز الديني، الرمز الطبيعي

Abstract:

The research deals with symbolism and symbolism in Fadwa Touqan's poems, a comprehensive analysis of the poet's style and artistic vision. It begins with an introduction that highlights Fadwa's feelings and suffering, which shows how her personal experiences influence her writings. After taking a look at her life, where she is defined as one of the distinctive poetic voices in Arabic literature.

The research goes through the concept of symbolism and symbolism, explaining how she uses symbols as a means of expressing her complex thoughts and feelings. The types of symbols that appear in her poems are identified, where the mythological symbol that links their experience with ancient figures and myths is reviewed, reflecting cultural inspiration. The religious symbol is also analyzed, where spiritual themes are manifested and the search for meaning in life is manifested.

In addition, the natural symbol that is reflected in the description of nature and its effect on the human soul, which gives depth to her poetic experience. The historical symbol is also mentioned, where it recalls historical events and cultural traditions that enhance her mission. Finally, the Sufi symbol that expresses the search for spiritual truth and deep experiences in the world of Sufism is explored.

The research includes careful analyses of the selected verses, showing how these symbols intertwine to form a unique poetic experience that expresses the human condition. These symbols reflect the internal tensions and existential questions that occupy Fadwa's mind, making her poetry rich in meaning and connotations.

Keywords: Symbol, Fadwa Touqan, mythical symbol, religious symbol, natural symbol

مقدمة

الغموض هي ظاهرة معروفه في الشعر العربي الحديث، على عكس الشعر العربي القديم ما كان الشعراء مهتمين بإصابة المعنى وتدقيقه، مع الأخذ بعين الاعتبار الواقع في معظم الحالات،

و إن الشعر الحديث اتخذ من هذه الظاهرة طريقة يسلكه الشعراء وعمل الشعراء بجد لإعطاء كتاباتهم معنى في البعد حتى ظهرت بعض المذاهب الأدبية مثل الرمزية والسريالية وغيرها، وفي الواقع، الحديث عن الرمز في الشعر، آداب قديمة ، سواء كانت عربية أو غربية ، ولكن رمزيتة في مفهومه الحديث هو أحد مظاهر التجديد في الشعر المعاصر والغرض منه هو تزيين الفكرة وتجنب الاعتراف شخصي.

لقد اتخذ شعراء الأدب المقاوم، وخاصة شعراء وأدب فلسطين الرمزية، من بين هؤلاء الشعراء فدوى طوقان، التي تتخذ قضية فلسطين حيز كبير من مؤلفاتها، التي تعبر عن معركة شعبها ضد الإرهاب والاحتلال، وتجسد تطلعاتها وتطلعات شعبها لاستعادة وطنهم وأراضيهم الحبيبة.

أهمية البحث:

ان معالجة الرمز والرمزية في ديوان فدوى طوقان والطرق المختلفة التي استخدمتها الشاعرة لتجسيد الرمزية، أمرضروري لأنه يساعدنا في فهم قصائدها أكثر، وعلى الرغم من الكثير من الدراسات التي حدثت على هذا الشاعرة لم تتطلق الى الرمز والرمزية في مؤلفاته.

مشكلة البحث:

المشكلة في هذا البحث هي الافتقار إلى الدراسات والأبحاث التي تناولت هذا الموضوع، من أجل مساعده في دراسة الرمز والرمزية وتحليلها لدى فدوى طوقان.

تساؤلات البحث:

ان سبب اختيار هذا الموضوع كانت دوافع بشكل رئيسي في الأسئلة التالية

1. على أي مسار سارت فدوى لتبين الرمز والرمزية؟
2. ما هي الطرق المختلفة التي استخدمها الشاعرة لرسم الرمز والرمزية؟
3. ما هي رمزية فدوى وما صورها الرمزية؟ هل يمكن أن تكون صورها الرمزية على دراية أو تحتاج إلى التفكير والبحث؟

أهداف البحث:

يسعى هذه البحث إلى دراسة الرمز والرمزية في قصائد فدوى طوقان والطرق

التي تستخدمها، من أجل فهم قصائدها أكثر وإدراك معانيها في عقولنا.

منهج البحث:

اعتمدنا على النهج التاريخي حيث نتبع القضايا التاريخية وتطور الرمزية في العصور المختلفة، ونهج استقرائي لاستقراء بعض القضايا النقدية.

حدود البحث:

يركز البحث على الرمز والرمزية في اشعار فدوى طوقان

التمهيد: حياه الشاعرة ومعنى الرمز ومدلولاته

أولا: حياة فدوى طوقان

هي واحدة من أهم شعراء فلسطين في القرن العشرين من مدينة نابلس، وهي من عائلة فلسطينية معروفة جيدًا، وقد أطلق عليها اسم شاعرة فلسطين، حيث كانت تمثل شعرها أساس قوي لتجارب الإناث في الحب والثورة والاحتجاج على المرأة على المجتمع (1).

ولدت فدوى في مدينة نابلس عام ١٩١٧ م ، وتلقت تعليمها حتى المرحلة الابتدائية، حيث كانت عائلتها لا تقبل مشاركة النساء في الحياة العامة، لذلك غادرت مقاعد الدراسة واستمرت في تثقيف نفسها، ثم درست على يد شقيقها، فإن الشاعر الفلسطيني العظيم إبراهيم طوقان، الذي أسف مواهبه ووجهه على كتابة الشعر، حيث شجعه على نشره في العديد من الصحف العربية ، ووصفها بأنها "أم التمام"، ثم أطلق عليه محمود درويش في وقت لاحق "ام الشعر الفلسطيني" ولقبت بالعديد من الالقاب منها "دنانير" و اطلق عليها لقب "الزيتونة المباركة" و" زهرة البنفسج" (2)، وعلى الرغم من أنها وقعت قصائدها الأولى باسم "دنانير" ، وهو اسم جارية، وان أحب أسماءها المستعارة إلى قلبها هو "المطوقة" لأنها تتضمن إشارة مزدوجة، بل هي تورية بليغة إلى حال الشاعرة على وجه الخصوص،وأن المطرقة تعني انتمائها لعائلة طوقان المعروفة جيدًا ، وفي الوقت نفسه ، يرمز إلى ظروفها في مجتمع تقليدي رحيم(3)، واستمرت الكوارث في حياة فدوى بعد وفاة والدها ، ثم شقيقها ومعلمها إبراهيم ، وتبع ذلك احتلال فلسطين خلال ناكبة 1948 ، وتركت هذه المآسي المتتالية تأثيرها الواضحة على نفسية فدوى طوقان مثل يتضح من شعرها في أول دواوينها وحده مع الأيام.

في الوقت نفسه، دفع هذا فدوى طوقان إلى المشاركة في الحياة السياسية خلال الخمسينيات من القرن الماضي، وسافرت فدوى إلى لندن في أوائل الستينيات من القرن الماضي، بقيت هناك لمدة عامين، مع خلال إقامتها هناك فتحت لها آفاق المعرفة وآفاق الإنسانية لأنها جعلتها على اتصال بإنجازات الحضارة الأوروبية الحديثة. (1)

---

1 . سليمان موسى، شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان، مؤسسة عبد الحميد شومان، توزيع دار فارس، عمان – الأردن، ٢٠٠٦، ص١٤٣

2 . د. إبراهيم أديب العلم، أطروحة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فرع الآداب، بعنوان: فدوى طوقان :أغراض شعرها وخصائصه الفنية، 1985، ص 7 .

3 . ليانة بدر: فدوى طوقان ظلال الكلمات المحكية، دار الفتى العربي، القاهرة، ط١، 1996، ص15.

1 . فتحية إبراهيم صرصور، في صالون نون الأدبي فدوى طوقان في مواجهة وعد بلفور، دنيا الوطن، ١٨/١٢/٢٠١٧

2 . شاكر فريد حسن، سميرة الخطيب شاعرة القدس الحالمة.... رحيل صامت، صحيفة رأي اليوم، ١٣ يونيو ٢٠٢١

بعد نكسة يونيو 1967، خرجت من قشرتها للمشاركة في الحياة العامة في نابلس، وبدأت في حضور المؤتمرات والاجتماعات والندوات التي عقدها الشعراء الفلسطينيون البارزين مثل محمود درويش، ساميه القاسم، توفق زياد، سالم جبران، إميل حبيبي ، لي كرنيك وآخرون

وإن فدوى واحدة من أبرز شعراء فلسطين، إلى جانب كل من لي كرنيك، ليلى علوش، سميرة خطيب (2)، وتوفت فدوى طوقان 2003 عن عمر يناهز الثمانين عام، و قد قضتها في استخدام كلماتها وقصائدها من أجل حرية فلسطين ، وكُتبت قصيدتها الشهيرة على قبرها:

كفاني أموت عليها وأدفن فيها

وتحت ثراها أذوب وأفنى

وأبعث عشبًا على أرضها

وأبعث زهرة إليها

تعبث بها كف طفل نمته بلادي

كفاني أظل بحضن بلادي

ترابًا، وعشبًا، وزهرة

ربما كانت فدوى طوقان الأكثر جرأة على الذات، والأكثر اندفاعًا في الوحي والاعتراف في الدفاع عن فلسطين والقضية الفلسطينية ومأساة شعب مستمرة الى يومنا هذا. (1)

ثانيا: الرمز لغة واصطلاح

1 . الرمز لغة

توجد عدة تعاريف للرمز من حيث اللغوية، منها ما جاء في القاموس المتوسط، "أشار بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليد أو أي شيء" (2).

يعتقد بعض اللغويين أن الرمز هو الصوت الخفي الذي بالكاد يُفهم استنادًا إلى الآية {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ }(3)

قد بين لسان العرب الرمز وقال: "تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير ابانة بصوت إنما هو إشارة الشفتين" (٤).

1 . فدوى طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، سيرة ذاتية، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٣

2 . مصطفى ابراهيم وحامد عبدالقادر و احمد حسن الزيات و محمد على النجار، المعجم الوسيط، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، ط ٥، ١٤٢٦هـ، ص ٣٧٢

3 . سورة آل عمران، الأية :٤١

4 . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمدبن مكرم لسان العرب بيروت – لبنان: دار صادر و دار بيروت، ١٩٨٦، ج 5، ص ٣٥٦

مع وجود العديد من التعاريف، لكنها تنتهي جميعا بمعنى واحد يكمن في الكلمة وهو تعبير عن شيء غير مباشر أو قضية أو شخص، ويعرب الشخص عن نيته بشكل غير مباشر عندما لا يستطيع التحدث أو يريد أن يفهمه بعض الناس بدون بعض.

الرمز هو تعبير عن الأمور، ليس بالمعنى الواضح، ولكن بالمعنى الداخلي، يعتمد على اقتراح إثارة الفكر والروح لتوليد مشاعر القارئ.

2 . الرمز اصطلاحا

يعني الإيحاء، هو التعبير غير المباشر عن كل النواحي النفسية المستترة التي لا تستطيع على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية والرمز هو علاقة بين الذات، والأشياء لان تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح (1)

الرمز هو التعبير عن الأمور، ليس بمعناها الظاهرى إنما بمعناها الباطني يستند على الإيحاء الإثارة النفس و الفكر لتولد المشاعر عند القارئ.

ثالثا: الرمزية:

هي حركة أدبية ظهرت في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، وأساس هذه الحركة هو الرد على الطبيعة والثورة على لطبيعة البالغة في الجمود أي البرناسية وهي التي تعتمد على العقل المحض والحس و المادة و التجربة.

رمزية في الأدب، فهي تسمى حركة أدبية تم تمييزها في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر.

كانت رمزية في عصر قبل الإسلام حتى العصر الحديث هي رؤية الأمم السابقة الإسلامية للأشياء من وجهة نظر مادية حسية، وعقليتها ساذجة، ولم تنظر الأمور إلى رؤية عميقة البيئة السابقة الإسلامية لم تكن صالحة للرمزية.

بالإضافة إلى ذلك العرب في هذه الحقبة، لم يتأثروا بالحضارات الأجنبية ولم يلجأوا إلى تعميق في مظاهر الحياة، لذلك لم نجد تطورًا في الرمزية في هذا العصر.

أما بالنسبة لعصر العباسي، فإن عصر ازدهار الرمزية كان بسبب الضغوط الفكرية والسياسية والاقتصادية حتى رأى البعض منهم، "ان الرمز لم يتخذ معنى اصطلاحيا إلا منذ عصر العباسي، عصر التحول الظاهر في الحياة الاجتماعية والعقلية العربية وعصر النهضة العلمية الأدبية" (1)

في الأدب الغربي الحديث، تم العثور على رمزية في مفهومها الحديث، بعد التواصل الثقافي مع الغرب والعرب تأثرت بمظاهرهم الأدبية.

أحد مظاهر التجديد في الشعر المعاصر هو توظيف الرمز والأسطورة التي ظهرت من قبل الشاعر ايليوت ، بعد ذلك تأثر الشعراء العرب بهذا النهج وتوسيع استخدام الرمز وتركت الدوائر المحدودة إلى آفاق أوسع ويستخدمونه في طرق مختلفة ،

1 . هلال غنيمى، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣، ص٣٩٨

1 . الجندي، درويش، الرمزية فى الادب العرى، مكتبة نهضة، مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤١

2 . أبو إصبع، صالح الحركة الشعرية فى فلسطين المحتلة، بيروت، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص٢٩٧

3 . المعوش، سالم، الادب العربي الحديث بيروت – لبنان، دار النهضة العربية، ط ٢، ٢٠١١م، ص ٦٧٧

وخاصة شعراء المقاومة، هذا لا يعني أنهم غير قادرين على التعبير عن ما هو فيهم أو الفرار من الواقع إلى عالم مليء بالرموز والأوهام. (2)

والسبل التي تساعد الشاعر في بيان تعابيره الرمزية هي: استحضار الأسطورة استعمال الكنايات والاستعارات والتشابيه توظيف الدين استحضار الشخصيات الأدبية والتاريخية، العودة إلى التراث الشعبي والتاريخ، توظيف الألوان، استخدام الجوارح والأعضاء المادية للجسم.

1 . استحضار الأسطورة

كل أسطورة تحمل طاقات موحية والرمزية تعتمد على صياغة شعرها على الصورة الموحية كاقتراح هو واحد من أهم المبادئ الرمزية (3).

الشاعر الذي يعاني من التجربة العاطفية مستوحى من الأسطورة للموافقة على تجربته والتركيز على هذه الطاقات الموحية في نيته، ليست نية استحضار الأسطورة مجرد ذكر الحوادث، ولكن الأسطورة التي يستحضرها الفنان بتجربة مثل التجربة العاطفية التي يمر بها الفنان ومقدار التشابه مع تجربة الشاعر استحضار الأسطورة يتطلب الإدانة وإمكانية تشابهها مع حقيقة محددة (1).

الأدبيات المعاصرة، وخاصة المقاومة الأدب، الذي لا يمكن لأصحابه التعبير عن مفاهيمهم، والاعتماد على شخصيتهم الذاتية ومليئة مباشرة بإثارة الأساطير. وفي اشعار فدوى طوقان، نجد واحدة من الأمثلة على الأسطورة، حيث تقول:

نسرا فنسر غالهم وحش الظلام

سرق السمو من الاعالي

آه يا وطني (2)

2 .توظيف الكناية والاستعارة و التشبية

هناك طريقة أخرى لشرح التعبيرات الرمزية وهي الاعتماد على التشبية والاستعارة والمجاز والكنايات، حيث إن المؤشر على المعاني ليس فقط بالكلمات، بل عن طريق الاستعارة والكناية والصور الخطابية الأخرى التي تكسب ظلال العمل من الرمز والغموض مثل بالإضافة إلى الجمال الأدبي، يمكن لطالب الشعر إعادة فهم وتثبيت معاني الشعر بشيء من الحذر والبطء. وتوظف الشاعر فدوى طوقان الكنايات والاستعارات والتشابيه في جميع قصائدها، حيث يرى القارئ ظلال الصور الرمزية في قالب والاستعارات والكنايات في معظم قصائدهم، قمنا بتقسيم الصور الرمزية الكناية والتشبية على الأقسام: –

1) الصور الرمزية لمقاومة شعب فلسطين ومكابرتهم والثورة على الكيان الصهيوني.
2) الصورة الرمزية حول احتلال الصهاينة لأراضي فلسطين.
3) الصورة الرمزية حول الصهاينة وشعب فلسطين
4) الصورة الرمزية حول استسلام شعب فلسطين.
5) صور الصورة الرمزية للحرية والماضي والاستقلال والحنين بالنسبة لهم.

1 . المعوش، سالم، المرجع السابق، ص ٤٧٨

2 . طوقان، فدوى، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٣، ص ٤٣٢

المبحث الأول: الرمز الاسطوري

١.مفهوم الرمز

ان الرمز يعني الاقتراح، أي التعبير غير المباشر للجوانب النفسية الخفية غير قادرة على أداء اللغة في أهميتها الإيجابية، الرمز هو علاقة بين الذات والأشياء التي تولد اقتراح من خلال الآثار النفسية، ومنه يمكننا أن نقول أن الرمز هو أن الرابط بين الذات والأشياء، والذي يولد المشاعر من خلال الآثار النفسية، وليس عن طريق الإعلان؛ وهذا يعني أن هذا التعبير غير مباشر من الجوانب النفسية والمستقرة التي لا يمكن أن تؤديها اللغة في وضعها. (١)

٢.الرمز الاسطوري

الرمز الأسطوري هو الأكثر شيوعًا في الأدب العربي الحديث والمعاصر لأنه يشير إلى دلالات مختلفة، كما نقل الشاعر العربي من أكثر من مصدر واحد، وبعضها حضارات يونانية وبعضها حضارات البابلي آخر من التراث العربي القديم، لذلك نجد في شعرنا توظيف سربروس، سيزيف، ادونيس وكذلك العنقاء، عشتار، تموز، امون، خالد بن الوليد، عنترة، امرؤ القيس، زرقاء اليمامة وغيرهم الكثير (1)

تخضع تعاملات الشاعر المعاصر مع الأسطورة برموزه وشخصياته وأحداثه للمعايير العامة التي يخضع لها الرموز غير الاسطورية في الشعر ، بناءً على مبدأ أساسي هو علاقة الرمز في السياق الشعري فيه وضرورة ارتباطه بتجربة الشاعر ، التجربة الشعرية بخصوصيتها في الكل إنه عمل شاعري يدعو إلى الرمز القديم من أجل العثور على التفريغ العام لما يحمله من العاطفة أو الفكرة العاطفية وذلك عندما يكون الرمز قديمًا ، ويعطي الكلمة شخصية رمزية لتركيز شحنتها العاطفية أو الفكري العاطفي، وتتمتع الأسطورة بسلطة رائعة على عقول وأرواح الناس ، وهي قصة مقدسة مع المحتوى أعمق معاني تتعلق بالكون والوجود والحياة البشرية.

قد تكون الأسطورة مساعدة في تسليط الضوء على المحتوى الخفي للواقع وكشف الرعب والغموض فيه، الأسطورة ليست قمعا للاجتماعية بل متعة وإضاءة شاملة (2)، وفقًا لذلك، فإن القيمة الثقافية للأسطورة رائعة، لأنها مصدر خصبة للحضارة

الشعوب القديمة والحديثة، وتحليل رؤيتهم للكون والمجتمع والإنسان، ومعرفة مواقفهم بشأن القضايا الأساسية التي احتلتها وما زالت تشغلها وتشغلها في الواقع هي ظواهر ثقافية في أي مجتمع المجتمعات هي نتاج الخيال الإنساني، وليست مجرد وهم، مع وجود صلة بالواقع والحقيقة في الأكثر عمومية ويفترض الحالة المناسبة (١)

"لا تزال الظاهرة الأسطورية متأصلة في أعمال معظم الشعراء وتوجههم الفني مع تراث بشري مهم للغاية في الشعر العربي المعاصر تم إدخاله، الشاعر العربي المعاصر الموجود في الأسطورة مع كل الفكر الغريزي والسذاجة والبدائية، وهو ملاذ ومرآة تعكس إلهامه، تصوراته الذاتية، الحرارة والضمير تجاه هذا الواقع العربي الذي تكثر فيه التناقضات، ولقد أدت هذه الأشياء إلى تدهور وروح الهزيمة والخذلان، إلى وجود علاقة حميمة بين المعاصرة والأسطورة حتى أصبحت هذه الأسطورة روح هذا الشعر.

---

1 . عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، ص228

سعد الدين كليب وعي ،الحداثة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا د ط، 1997، ص: 69.

1 . عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية، ص179.

2 . الخوري لطفي، معجم الأساطير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990 ، ط1 ،ص8.

ربما توظيف الرمز الأسطوري في شعرنا العربي المعاصر، بطريقة تستفيد من إثراء التجربة الشعرية، وتطوير الأداء الفني في الشعر ، خاصةً لم يظهر بوضوح إلا عندما بدأ بعض شعراءنا في تنظيم قصائدهم وهم هم تدرك هذه العقيدة الرمزية في الغريب ، وما أبلغه هذا الشعر بأن الأوروبية هي أساسًا من الأسطورة ، وكذلك على بعض وسائله وأهدافها التي أوضحها أساتذة هذا الفن ، سواء كان ذلك من خلال ما هو عليه نقل قصائدهم من الرموز اللغوية والأسطورية أو من الاقتراح والإيماءة التي تتطلب هندسة معقدة لهذا الفن.

احتفل الشعر الجزائري بالأسطورة، وأول من يمدحها لما ذكره "محمد ناصر" ودعا إلى ضرورة النظر إليها واستخدامها في شعرنا الحديث، "هذا المكتب هو رعاية الأسطورة التي تعتبر واحدة من أبرز مظاهر النهضة العلمية ذات الصلة من حل الأرستقراطية الدينية والفكرية. (1)

بسبب تنوعها في تجارب الإنسان، وبسبب خلافة الحضارات بين البلدان والأديان التي انتقلت فيها العديد من الأساطير والأساطير حولها.

تمكن بعض الشعراء من الارتفاع من قبل الأسطورة لخلق جو دراماتيكي يعتمد على توفير عناصر المراسلات والصراع لأن البناء الدرامي أن كل فكرة تتوافق مع فكرة وأن كل ظاهرة واضحة وراءها هي الداخلية، وأن التناقضات إذا كانت سلبية في حد ذاتها، فإن تبادل الحركة بينها يخلق الشيء الواجب(2).

الشاعر الأسطوري يطلق عليه الشاعر من الذاكرة الأسطورية القديمة بأبعاده المختلفة، هو جزئي أو كليًا ، ويترتب على ذلك أن أي نقص للقارئ في استحضار هذه الأبعاد سيقلل من فهمه للأساطير كإطار رمزي "هو محاولة لشرح ما يصعب فهمه على الإنسان من الظواهر الكونية من أجل التوضيح الأساطير كإطار رمزي دال "محاولة منه لتفسير ما يستصعب فهمه على الإنسان من ظواهر كونية تفسير يقوم على مفاهيم أخلاقية و روحية. (1)

الاسطورة والرموز الاسطورية في شعر الشاعرة فدوى طوقان منها مقطع من ديوانها الشعري:

نسرا فنسر غالهم وحش الظلام

سرق السمو من الأعالي

آه يا وطني (2)

المبحث الثاني: أنواع الرموز في فدوى طوقان

اولا: الرمز الديني : "كل رمز في القرآن النبيل أو في الكتاب المقدس، ونجد الشعراء يستخدمون سورة من القرآن أو قصة الأنبياء أو بعض الأماكن نفسه الأهمية دينية، مما يمنح جمالية للقصيدة وبعد دلالي عميق، كما أخذت شخصية المسيح ، موسى ، محمد ، وتولي ، والسلام والبركات عليهم ، وإذا كان استفاد الشعراء من القصص القرآنية ، وشخصيات الأنبياء

1 . محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2006 ،ص575.

2 . عز الدين اسماعيل الشعر العربي المعاصر، ص19

1 . نسيمة بوصلاح ، تجلي الرمز في الشعر الجزائري للمعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية ، ط 1 ، الجزائر، 2003 ، ص 112.

2 . فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 1993م، ص432

والمراسلين الذين تم ذكرهم في الكتب المقدسة ، لم ينسوا استثمار الطاقات الموحية التي تفيض من شخصية الشيطان ، وغيرها ترتبط الشخصيات التي تم ذكرها في الكتب السماوية بمواقف معينة.

تعرض الأديان المختلفة النصوص الدينية والطقوس والأعمال الفنية كرموز للأفكار المفروضة أو المثالية، تساعد الرموز في إنشاء خرافات تعبر قيم أخلاقي للمجتمع أو تعاليم الدين، تعزيز التضامن بين أتباع هذا الدين ، وجعل الخدم أقرب إلى أصنامهم ، كعنصر من الأديان والأساطير المقارنة ،أو في نطاق داخل حدود دين واحد. (١)

ويبدو أن الرمز مع بياناته هو أفضل الأدوات اللفظية للشاعر في تحقيق ما يطمحون إليه في هذا أو ذاك، لضمان ذلك أي رمز تكثيف، الإيجاز والتلميح في بعض الأحيان، تعدد الدلالات والمعاني والندوة من سياق إلى آخر في بعض الأحيان ثانية ويحكم الشاعر في بلورته كما يريد مرة ثالثة، ويبدو أن الرمز غالبًا ما يكون في وعي جماعي بين الشاعر ومستلمه، وهذا هو الأبعد من استخدام أو الغموض من جهة ويحقق التنوير والسرور والاهتمام ومن ناحية الآخرين أيضا، والرمز لا يكاد يكون خاليًا من الشعر منه الماضي والحاضر. يستحضر الشاعر هذا الدافع للأنظمة أو الكلمة الأكثر دقة هي أن كل نص له رمز محدد، وأن النسغ هي واحدة من أبرز الشعراء للحداثة والواقعية الجديدة.

استخدمه مع الأسطورة والرمز حتى يقال إن الشاعر العربي لم يستخدم الأسطورة والرمز كما استخدمته حتى أصبح من النادر أن تكون قصيدة خالية من قصائده منها، وحسبنا في هذا الصدد أننا نرى الرمز الديني على وجه الخصوص كانت مستوحاة من إبعادها من النص القرآني وقصصه في المقام الأول، وكذلك الكتب السماوية الأخرى.

هذا النوع من الرموز قد مدد بطاقة استشارية كبيرة تتوافق مع اهتماماته النفسية المتنوعة ومشاعره من موقف إلى آخر، تقول شاعرتنا (1):

القَدْسُ عَلَى دَرْبِ الآلام

تُجْلَدُ تَحْتَ صَلِيبِ الْمِحْنَةِ

تُنْزَفُ تَحْتَ يَدِ الْجَلَادِ

وَالْعَالَمُ قَلْبٌ مُنْغَلِقٌ

دُونَ المأساه

هَذَا اللاَمُكْتَرِثُ الْجَامِدُ يَا سَيِّدُ

انْطَفَأَتْ فيهِ عَيْنُ الشَّمْسِ فَضَلَّ

لَمْ يَرْفَعُ فِي الْمِحْنَةِ شَمْعَه

لَمْ يَذْرِفْ حَتَّى دَمْعَه

تَغْسِلُ فِي الْقُدْسِ الْأَحْزَانَ

1 . فدوى طوقان الديوان، ص: 500

نلاحظ في هذا المقطع استدعاء الشاعرة لشخصية السيد المسيح عليه السلام في نداءه (يا) و(الصليب)، تحاول أن تنبه المتلقي وتعود بذاكرته إلى تلك القصة المؤلمة التي حدثت لسيدنا عيسى عليه السلام لو لم ينجيه الله سبحانه وتعالى ولكنها تتكرر اليوم والشعب الفلسطيني بطلها وضحيتها.

لو بيدي أن أحمي هذا الكوكب (1).

من شر خيار الصعب

لو أني أملك بيدي

أن أرفع هذا الكوكب

كابوس الحرب

أن أفرغه من كل شرور الأرض

أن أقتلع جذور البغض

أن أقصي قابيل الثعلب

أقصيه إلى أبعد كوكب

أن أغسل بالماء الصافي

إخوة يوسف

وأطهر أعماق الإخوة

من دنس الشر

تمثل الأبيات التي كتبتها الشاعرة فدوى طوقان توظيفًا للرمز الديني في إطارٍ إنساني يعكس موقفها من الحرب والشر والكراهية، حيث استلهمت رموزًا دينية من القصص القرآني لتقديم رؤيتها للعالم المثالي الذي تطمح إليه. قابيل الثعلب: يشير إلى قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم، حيث قتل قابيل أخاه هابيل حسدًا. واستخدام الشاعرة لهذا الرمز يعبر عن الشر والحقد المتجذر في الإنسان، الذي ترغب في اقتلاعه وإبعاده. إخوة يوسف: يرمز إلى إخوة النبي يوسف الذين ألقوه في الجب بدافع الحسد والغيرة، فاستعانت بهم الشاعرة للدلالة على الخيانة والأذى الناجم عن الكراهية بين الإخوة، مع التطلع إلى تطهيرهم من هذه النزعات. تطهير أعماق الإخوة من دنس الشر: فيه إشارة إلى مفهوم التوبة والتطهير الروحي، وهو مفهوم ديني يعكس الأمل في إصلاح البشر وتحقيق السلام

ثانيا: الرمز التاريخي : إن استخدام الرموز التاريخية في شعرنا العربي معروف في الشرق العربي بطريقة رائعة ، وربما هذا بسبب ذلك الانكسار وخيبة الأمل التي عانت منها شعوب العالم العربي ، والمحاولات الفاشلة لعصر النهضة واستعادة أمجاد العرب ، حيث كانت معظم الدول العربية متورطة في ظل الاستعمار الأوروبي والمهمة بعد سقوط الإمبراطورية

1 . فدوى طوقان اللحن الاخير، ص٢٠

1 . عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، ص٦٥

العثمانية(1) ، وما هو مرتبط بمحاولات خطيرة من أجل إلغاء تاريخها وهويتها ومدخراتها الثقافية والمادية ، بالإضافة إلى زرع الكيان الإسرائيلي في جسد الأمة ، الذي شكل وعيًا وطنيًا موحدًا بين شعرائنا الذين أشادوا بالقضية استخدموا القدس كرمز وقناع من نعم ، جماع الناس ، والدفاع عن الشرف الرتيب ، يختار الشاعر واحدة من شخصيات التاريخ هي ما يتوافق مع طبيعة الأفكار والقضايا والمخاوف التي يريد نقلها إلى المستلم.

وجد الشاعر المعاصر في الشخصيات التاريخية معينا لا ينضب فجعله عنصرا أساسا في بناء قصيدته من خلال اتخاذه قناعا يجسد معاناته وآلامه فهو يحاول التوفيق بين نوعين مختلفين من الخطاب التاريخي والخطاب الشعري كشخصية المعتصم، خالد بن الوليد، تقول فدوى طوقان

... آه وامعتصماه (1)

آه يا ثار العشيرة

آه جرجى

مرغ الجلاد جرحي في الرغام.....

ليت للبراق عينا ....

آه يا ذل الأسار

حنطلا صرت، مذاقي قاتل

حقدي رهيب، موغل حتى القرار...

ألف هند تحت جلدي

جوع حقدي

فاغرفاه، سوى أكبادهم لا يشبع الجوع الذي استوطن جلدي

آه يا حقدي الرهيب المستار

قتلو الحب بأعماقي، أحالوا

في عروقي الدم غسلينا وقار

في هذا المقطع من شعر فدوى طوقان، نجد توظيفًا مكثفًا للرمز التاريخي، حيث تستحضر شخصيات وأحداثًا تاريخية تحمل دلالات القوة والصمود والانتقام. ومن أبرز هذه الرموز: "و امعتصماه" : إشارة إلى استغاثة امرأة مسلمة بالخليفة العباسي المعتصم بالله، وهو رمز للنجدة والنخوة العربية في مواجهة الظلم ثار العشيرة": استدعاء لروح الثأر والانتصار للكرامة، وهو مفهوم متجذر في التاريخ العربي.

١.فدوى طوقان الديوان، ص: 244

"البراق": في عبارة "ليت للبراق عينا"، إشارة إلى البراق، الدابة التي حملت النبي محمد (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، ويستخدم هنا كرمز للتحرر والانطلاق. "ألف هند تحت جلدي": إشارة إلى هند بنت عتبة، التي اشتهرت بانتقامها في معركة أحد، مما يعكس الرغبة في الثأر والانتقام من الأعداء. كل هذه الرموز التاريخية تساهم في تعميق دلالة القصيدة.

منهم من كانوا أطفالا (1)

ما كبروا بعد

أفراح عصافير صغيرة

منهم من كانوا صبية

تحترف الشيطنة وتلهو بالألعاب النارية

تتبارز بالأغصان الصلبة

تشهرها سيف أو حربة

تتقمص شخصيات كفاح أسطورية

عنترة العبد الباحث عن حريته في درب الموت

عز الدين القسام الرابض في الأحراش الجبلية

عبد القادر في "القسطل"

تحيا ويمارس عشق الأرض (1).

في هذه الأبيات من شعر فدوى طوقان، نجد توظيفًا واضحًا للرمز التاريخي من خلال استحضار شخصيات كفاح ونضال لها دلالات قوية في التاريخ العربي والإسلامي، ومن أبرز هذه الرموز: عنترة بن شداد: يُستدعى هنا كرمز للعبد الذي ناضل من أجل حريته، مما يعكس التحدي والكفاح ضد الظلم الاستعباد عز الدين القسام: القائد الفلسطيني الذي قاد ثورة ضد الاستعمار البريطاني، وهو رمز للمقاومة المسلحة والتضحية في سبيل الوطن عبد القادر الحسيني: القائد الفلسطيني الذي استشهد في معركة القسطل عام 1948، وهو رمز للبطولة والفداء في سبيل القضية الفلسطينية .وتشير هذه الشخصيات لتجسيد روح النضال والمقاومة لدى الأطفال والصبية، مما يمنح القصيدة بعدًا وطنيًا وتاريخيًا يعكس استمرار روح التحرر والنضال عبر الأجيال.

ثالثا: الرمز الطبيعي

هناك ظاهرة طبيعية يتم الاتفاق عليها حول الشعر المعاصر، وهو استخدام الرمز الطبيعي مع ما يحمله من جدة دلالية لأنه عادة ما يكون تعبيرًا عن الواقع الذي يعاني منه الشاعر ووسائل تهدف إلى تصويره النفسي المشاعر، كانت الطبيعة

١.فدوى طوقان. الاعمال الشعرية، 436

١. فدوى طوقان. الاعمال الشعرية، 436

وما زالت هي مصدر الشعراء والفنانين المهمين ومصدرهم الذي لا يجف، أخذ الشاعر المعاصر من الجوانب الطبيعية التي تعبر عن مشاعرهم وحالتهم النفسية ، والتي تختلف من شاعر إلى آخر (١).

وطبيعة المفردات والدافعات تستثمر بلا شك من قبل الشعراء لأنها سخرية في توصيل أفكارهم التي يريدونها، وهذا هو لو لم يرغبوا في الطبيعة في حد ذاته، بل الرمز الذي تؤديه الطبيعة دائمًا، ولا يأتي من العبث، لكنه يخلق من خلاله عملية التفاعل بينه وبين الطبيعة، يمكن أن يكون هذا التفاعل حقيقيًا، أي، على قيد الحياة الطبيعة ونفسها، أو أن تكون معبرة، أي أن الشاعر يريد الحالة الرمزية التعبيرية من الطبيعة ، للتعبير عن الأفكار والقيم التي يريد توصيلها للناس.

الرمز الطبيعي هو أهم عناصر التصوير الرمزي الذي يسلط الضوء على الرؤية الخاصة للشاعر تجاه الوجود، ويعمل على إثراءها، لأنه يمكّن الشاعر من قتال الحياة، ويمنحه القدرة على تمكينه من المعاني التي نعيش فيها، الذي يمنح إبداعه نوعًا من الخصوصية والحصرية، والشاعر وهو يستمد رموزه من الطبيعة، تتم إزالة عواطفه. وهو مصبوغ من أنفسهم، مما يجعلهم ينمون الإشعاع وتموجات مليئة بالرؤى، ببلاغة، كلمات شفافة، والمعنى مرتبط وتحميله دلالات، ولا يوجد فرق بين كلمة واحدة وآخر في هذا المجال، لأنه يجب أن تستخدم جميع مفردات اللغة في الشعر رمزها، ولا توجد كلمة إنه الأنسب للآخرين من أجل أن يكون رمزًا ، لأنه موثوق به من حيث أن الشاعر يستكشف العلاقات الحسية التي تربط شيئًا ما بأشياء أخرى. على رمز الخصوصية، يلعب السياق أيضًا دورًا أساسيًا في إثارة وضعه. العديد من العدد لا حصر له ، بحيث يبدو كما لو أن المفردات لجميع اللغة قد وصلت إلى رموز في يديه ، ومن الرموز الأثرية للأرض والأوساخ والأوساخ والزيتون والبرتقالي والبداية والنهاية ، الحلم ، الرياح ، النار والمطر ، الحمام الليلي ، القمر الحجري ، البحر البحر ، الرمال ، الفراشة ،", "تم تكراره في نصوصه الشعرية حتى كانت الصور مهيمنة بشكل أساسي ، والتي شكلت صورًا رمزية ، بما في ذلك "نورمان" ، من خلال مجموعات الصور ، وحصلوا عليها تكرارهم ضمن مجموعة من النصوص ، والمفاهيم الخاصة التي هي باستمرار تم تجديد ذلك الذي يحدد الشعر والموقف (1).

ان القصد من الرمز الطبيعي هو توظف الشاعر عنصر من عناصر الطبيعية ليعبر بواسطتها عن أحاسيسه وعما يختلج فؤاده من مشاعر وانفعالات وهي من خصائص الأدب الرومنسي.

كما استخدم الشعراء وخاصة الرمزيين عناصر الطبيعية فاختارتها شاعرتنا كوجه تختبئ خلفه وتخفي مشاعرها وتعمل على شحنه بدلالات شعورية عميقة، فتصبح عبارة عن إيحاءات تسبل على القصيدة مسحة جمالية. تقول فدوى في قصيدة الصيرورة

ترنو وتحدق في الأشياء

في قمر يسطع في شعلة

في رش رذاذ تنعفه نافورة ماء

في قط يربص.. في عصفور ينفض أجنحة مبتله

يتلفت، يجفل، يخطف ظله

ويطير إلى ذروة نخلة!

1 . فتوح احمد الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ص199.

نجدها وظفت كل من (قمر، شعلة نافورة، ماء، نخلة)

هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح

وانزلي الأمطار

تظهر الهواء في مدينتي

وتغسل البيوت والجبال والأشجار

هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح

ولتنزل الأمطار

ولتنزل الأمطار (1)

الرمز الطبيعي في هذا المقطع من شعر فدوى طوقان يتمثل في الرياح، السحاب، الأمطار، الهواء، البيوت، الجبال، والأشجار، هذه العناصر الطبيعية ترمز إلى معانٍ أعمق تتصل بالحالة الشعورية أو الوطنية التي تعبر عنها الشاعرة ، الرياح والسحاب: يرمزان إلى التغيير والحركة، وقد يكونان دلالة على الأمل أو الثورة التي تأتي بالتغيير المنتظر، الأمطار: غالبًا ما ترمز إلى التطهير والتجديد، أي أنها تمثل الأمل في غسيل الهموم والأحزان أو تحرير الوطن من الأوضاع السيئة. الهواء: يعبر عن الحياة والنقاء، وقد يكون رمزًا للحرية أو الحاجة إلى التجديد. البيوت والجبال والأشجار: تشير إلى الوطن والثبات والهوية، حيث ترمز الجبال إلى الصمود والقوة، والأشجار إلى الامتداد والاستمرارية.بهذا، فإن الطبيعة هنا ليست مجرد مشهد وصفي، بل تحمل دلالات رمزية تتعلق بالحرية، والتغيير، والتطهير من الهموم أو الاحتلال، وهو أسلوب شاع استخدامه في الشعر الوطني والوجداني عند فدوى طوقان. ورمز المطر يشير احيانا الى العدو فتقول الشاعرة:

وجه حزيران أريد

زخ المطر الأسود

وهناك على الأطراف الأفق هوت وتعلقت اللعنة (1)

تُعد الطبيعة في شعر فدوى طوقان وسيلة للتعبير عن مشاعرها العميقة، حيث تمتزج العناصر الطبيعية مع حالاتها النفسية والواقع السياسي لفلسطين. فهي توظف الرموز الطبيعية لتعكس الألم، الثورة، المقاومة، والانكسار "أريد زخ المطر الأسود"

المطر في العادة يرمز إلى الخير والنماء، لكنه في هذا السياق يأتي مقرونًا باللون الأسود، مما يعكس الألم والمآسي، يوحي المطر الأسود أيضًا بحالة نفسية سوداوية تعيشها الشاعرة، وكأنها تطلب مطرًا يغسل الألم لكنه يأتي محملًا بالمأساة "وجه حزيران أريد..." يرتبط حزيران (يونيو) بنكسة 1967، مما يجعله رمزًا للخسارة والانكسار العربي."وهناك على الأطراف

1 . فدوى طوقان الأعمال الشعرية الكاملة، القيل والفرسان المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993،ص372

١. فدوى طوقان الأعمال الشعرية الكاملة، القيل والفرسان المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص483

٢. الاعمال الشعرية، تموز والشيء الاخر، ص 540

الأفق هوت..." الأفق في العادة يرمز إلى الأمل والامتداد والحرية، لكنه هنا يسقط ويهوي، مما يعكس ضياع الحلم الفلسطيني.

في مسمع الدنيا وأوغل في مدى الدنيا صداه (2)

هذا أوان الشدا

واشتدت ومالق اواقفين

متألقين كما النجوم

في هذه الأبيات، تستخدم فدوى طوقان الرمز الطبيعي لتعزيز المعاني الشعورية والوطنية.

الصدى: يرمز إلى الامتداد والتأثير الواسع للكلمة أو الفعل، خاصة في القضايا الوطنية النجوم: ترمز إلى التألق، العلو، والهداية، مما يعكس مكانة الأبطال أو الشخصيات التي تتحدث عنها الشاعرة. المدى: يشير إلى الاتساع والامتداد، وربما يرمز إلى طموح الشعب أو القضية التي تدافع عنها. تستخدم فدوى طوقان هذه الرموز الطبيعية لإضفاء بُعد جمالي ونضالي على قصيدتها، مما يجعلها أكثر تأثيرًا وقوة.

وتحت غمرة القتام والديجور

نعجنها بالنور والبخور

والحب والبذور

تنفخ فيها قوى الإنسان

والصخور

ثم نردها لقلبك النقي

قلبك البلور (1)

في الأبيات المذكورة، تستخدم فدوى طوقان الرمز الطبيعي لتعكس معاني التحول، والتجدد، والتحدي، والانبعاث من الظلام إلى النور. "القتام والديجور" يرمزان إلى الظلام والجهل أو القهر والمعاناة، مما يعكس الحالة الصعبة أو القمع الذي تحاول الشاعرة تجاوزه. "النور والبخور" النور رمز للمعرفة، الأمل، والتحرر، بينما البخور قد يشير إلى الطهارة أو الروحانية، مما يدل على عملية تطهير أو تحول إيجابي. "الحب والبذور" الحب رمز للحياة والعطاء، والبذور ترمز إلى البداية والنمو والتجدد، مما يشير إلى إحياء الأمل أو الانطلاق نحو مستقبل مشرق. "قوى الإنسان والصخور" الإنسان رمز للإرادة والتحدي، بينما الصخور قد ترمز إلى الصلابة والصمود، مما يعكس صراع الإنسان ضد التحديات واستثماره لها في بناء مستقبله. "قلبك البلور" البلور رمز للنقاء والشفافية، مما قد يشير إلى نقاء القلب أو الرؤية الواضحة للمستقبل.

من خلال هذه الرموز الطبيعية، تعبّر فدوى طوقان عن فكرة التحول من الظلام إلى النور، ومن المعاناة إلى التجدد، ومن القهر إلى الحرية، وهو موضوع شائع في شعرها المرتبط بالنضال والحرية والهوية، في ختام الحديث عن الرمز الطبيعي

١.الاعمال الشعرية، الليل والفرسان، ص422

في شعر فدوى طوقان، يتضح أن الطبيعة لم تكن مجرد عنصر جمالي في قصائدها، بل كانت وسيلة تعبيرية قوية تحمل معاني عميقة تعكس تجربتها الشخصية ومعاناتها الوطنية.

رابعا: الرمز الصوفي

سعت الصوفية إلى الإشارة إلى معانيها الروحية وعالمها الخفيف(1) ، لذلك أستخدم الوصف ، الغزل والنبيذ الحسي ؛ وهو رمز لوجود الصوفي لأن لغتهم تشهد تحولات الرمزية في شعرهم ، وكانت الصوفية حريصة على الحفاظ على الأسرار بينهم تتجاوزهم لأولئك الذين ليسوا منهم ، والتعبير عنها بطريقة غامضة ، أدى ذلك إلى عدم فهم الجمهور لأغراضهم ، حتى يتمكنوا من ذلك كانت أذواقهم مرتبطة بهم ، وكانت الأمور تُنسب إليهم التي تم رفعها ، وطريقتهم لهم ، ولكن كل ذلك من الأسهل بالنسبة لهم الكشف عن سر الله ويؤمنون أن أولئك الذين حاولوا الكشف عنها للآخرين أعطى هذا الحكم الإلهي لأولئك الذين لا يستحقون ذلك ، من أجل السر الإلهي ، وخيانة الرسالة الصوفية ، وهذا مالكها يؤدي إلى التدمير والقتل.

أنتَ في القلبِ كنورِ الفجرِ

كلما أشرقتَ، تحررتُ من الأسرِ. (1)

في هذه الأبيات من قصيدة "أغنية حب" للشاعرة فدوى طوقان، نجد توظيفًا واضحًا للرمز الصوفي، حيث تستحضر الشاعرة معاني النور والتحرر، وهي مفاهيم أساسية في الفكر الصوفي، وذلك من خلال العناصر التالية:

تمثل عبارة "كنور الفجر" صورة مجازية تعكس دلالة النور الإلهي، الذي يعد رمزًا مركزيًا في التصوف، حيث يرمز إلى المعرفة الإلهية والهداية الروحية، في التصوف، يُنظر إلى النور على أنه وسيلة للخروج من ظلمات الجهل والبعد عن الحقيقة المطلقة.

في الشطر الثاني، تعبر الشاعرة عن فكرة "التحرر من الأسر"، وهو مفهوم صوفي يعكس فكرة الفناء في المحبوب الإلهي والتخلص من قيود المادة والوجود الدنيوي، فالتحرر في السياق الصوفي يعني الوصول إلى حالة الصفاء الروحي والتوحد مع الحقيقة المطلقة.

الحب في التصوف ليس مجرد حب بشري، بل هو حب إلهي يتجلى في "أنتَ في القلب"، حيث يتحول الحبيب إلى كيان مطلق يمثل النور الإلهي، وهو شبيه بما نجده في شعر ابن الفارض ورابعة العدوية، حيث يصبح العشق وسيلة للارتقاء الروحي والاتحاد بالمطلق.

بهذا التوظيف الرمزي، تمنح فدوى طوقان قصيدتها بعدًا صوفيًا يعكس سمو الحب وتحوله إلى تجربة روحية عميقة، تتجاوز حدود العشق الدنيوي إلى فضاء التصوف والبحث عن النور المطلق

في صمت الليل

أسمعُ همساتِك

---

١. توفيق بن عمر، دراسات في الزهد والتصوف، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط١، 1999، ص 99

١. فدوى طوقان الديوان، ص: 243

تذوب روحي في ضوءِ عينيكِ (1)

في هذه الأبيات من قصيدة "لحن الروح" للشاعرة فدوى طوقان، نجد توظيفًا واضحًا للرموز الصوفية، حيث تعكس الشاعرة تجربة روحية تتجاوز حدود العشق المادي إلى فضاء التأمل الصوفي والاتحاد بالمطلق، وذلك من خلال العناصر التالية:

تعبر عبارة "في صمت الليل" عن إحدى أبرز سمات التصوف، حيث يرتبط الصمت بالعزلة والتأمل الداخلي الذي يقود إلى الكشف الروحي، في الفكر الصوفي، يمثل الليل لحظة الانفصال عن العالم الخارجي والتوجه نحو الذات في رحلة روحية خالصة، وتشير "أسمع همساتك" إلى تجربة الكشف الصوفي، حيث ترتبط الهمسات في التصوف بالإلهام الإلهي أو الخطاب الروحي الذي يسمعه العارف في لحظات الصفاء والتجلي، مما يمنح الأبيات بعدًا روحانيًا عميقًا.

في تعبير "تذوب روحي في ضوء عينيكِ" نجد استحضارًا واضحًا لمفهوم الفناء الصوفي، حيث يشير الذوبان إلى حالة الفناء في المحبوب الإلهي، وهو مفهوم مركزي في التصوف حيث يتلاشى العابد في ذات المحبوب، فيصبح الوجود الفردي مندمجًا تمامًا في المطلق.

يعد "ضوء عينيكِ" صورة رمزية تعكس النور الإلهي، وهو رمز جوهري في التجربة الصوفية، حيث يُنظر إلى النور على أنه تجلٍّ للحقيقة الإلهية، والعين هنا قد تشير إلى الرؤية الصوفية التي تتجاوز الإدراك الحسي إلى البصيرة الروحية، وبهذه الصور الرمزية، تمنح فدوى طوقان القصيدة بعدًا صوفيًا عميقًا، حيث يصبح العشق تجربة روحية تتجلى فيها معاني الذوبان في المطلق، والتواصل مع نور الحقيقة عبر التأمل والوجد الصوفي.

يا من تُضيءُ ليلي

وتسكبُ في دربي

أرجوك، لا تتركني في ظلامِ الحيرة. (1)

هذه الأبيات من قصيدة "دعاء" للشاعرة فدوى طوقان، نجد توظيفًا واضحًا للرموز الصوفية، حيث تعكس الشاعرة تجربة روحية تتجاوز العشق الأرضي إلى فضاء التأمل العرفاني، وذلك من خلال العناصر التالية:

في قولها "يا من تضيء ليلي"، تستدعي الشاعرة مفهوم النور، وهو رمز أساسي في التصوف، حيث يمثل المعرفة الإلهية والتجلي الروحي، في الفكر الصوفي، يُنظر إلى النور على أنه الوسيلة التي تنقذ الإنسان من ظلام الجهل وتوصله إلى الحقيقة المطلقة.

الليل في التصوف يرمز إلى لحظة التيه الروحي التي تسبق التنوير، فهو يمثل حالة من القلق الوجودي والبحث عن الحقيقة. هنا، تعكس الصورة الصوفية لحظة انتظار الكشف الإلهي، حيث يصبح النور هو السبيل للخروج من ظلمة الشك.

في قولها "تسكب في دربي"، نجد استخدامًا لفعل "السكب"، وهو يوحي بتدفق الفيض الإلهي على السالك في طريق المعرفة، في التصوف، يرتبط هذا الفيض بمفهوم "الواردات الإلهية"، وهي التجليات التي تنير درب العابد في رحلته نحو الحقيقة المطلقة، وكان تعبير "لا تتركني في ظلام الحيرة" يعكس مرحلة التردد والاضطراب الروحي التي يمر بها السالك

١. فدوى طوقان الديوان، ص: ١٤٣

١. فدوى طوقان الديوان، ص: 278

قبل الوصول إلى اليقين، في التجربة الصوفية، الحيرة ليست مجرد شك، بل هي مرحلة ضرورية للوصول إلى الحقيقة، وهي ما أشار إليه المتصوفة الكبار مثل الجنيد البغدادي والحلاج حينما وصفوا الحيرة بأنها بداية الطريق إلى المعرفة الإلهية.

من خلال هذه الأبيات، توظف فدوى طوقان الرموز الصوفية بأسلوب يعكس معاناة السالك في رحلته الروحية، يمثل النور الهداية الإلهية، بينما يشير الليل إلى لحظة التيه، والحيرة إلى مرحلة البحث عن اليقين، إنها تجربة صوفية عميقة تتجلى في طلب الخلاص من ظلام الشك، والرغبة في الوصول إلى النور المطلق.

أحلقُ في فضاءِ الحبِّ، أبحثُ عنك،

في كلِّ نجمة، أجدُ صدى صوتك (1)

هذه الأبيات من قصيدة "رحلة إلى البهاء" للشاعرة فدوى طوقان، نجد توظيفًا واضحًا للرموز الصوفية، حيث تعكس الشاعرة تجربة روحية تتجاوز حدود الحب الأرضي إلى فضاء العشق الإلهي والتجلي الروحي، وذلك من خلال العناصر التالية:

في قولها "أحلق في فضاء الحب"، نجد رمزًا صوفيًا يعكس فكرة التحرر من الجسد والمادة، حيث يشير التحليق إلى صعود الروح وانفصالها عن قيود العالم الحسي، في التصوف يمثل هذا التحليق حالة الوجد والاتصال بالمطلق، كما نجده في أشعار جلال الدين الرومي وابن الفارض، حيث يصبح العشق وسيلة للتحليق نحو الذات الإلهية.

تعبير "أبحث عنك" يرمز إلى رحلة العارف في طريق المعرفة الإلهية، وهو مفهوم أساسي في التصوف، حيث يسعى العاشق للوصول إلى محبوبه الحقيقي، الذي قد يكون رمزًا للحقيقة المطلقة أو الله. هذا البحث يعكس حالة الشوق والاشتياق الصوفي التي تدفع العابد للاستمرار في السعي نحو الكمال الروحي، وفي قولها "في كل نجمة، أجد صدى صوتك"، نجد استحضارًا لرمزية النور، فالنجمة هنا تمثل مصدر الهداية والتجلي الإلهي. في التصوف، يرتبط النور بالكشف والإلهام، حيث يكون بمثابة إشارة إلى قرب العابد من الحقيقة المطلقة، والنجوم في هذا السياق تعكس إشراقات روحية تمنح الباحث إشارات ودلائل على الطريق الصحيح.

استخدام "صدى صوتك" يشير إلى مفهوم صوفي آخر، وهو التجلي الإلهي في مظاهر الكون. فالصوت هنا قد يكون رمزًا للإلهام الداخلي أو لنداء المحبوب المطلق، بينما الصدى يعكس استمرارية هذا التجلي في كل جزء من الوجود، هذه الفكرة تتوافق مع التصور الصوفي القائل بأن كل شيء في الكون يحمل أثرًا من الحق المطلق.

من خلال هذه الأبيات توظف الشاعرة رموزاً صوفية قوية تعكس تجربة الوجد الروحي، حيث يصبح الحب فضاءاً للتحليق والبحث رحلة نحو الحقيقة، والنجوم إشارات للهداية، والصوت تجلياً للحضور الألهي، أنها تجربة صوفية تتجاوز الماديات، حيث يتحول العشق إلى وسيلة للاتحاد بالمطلق، تماماً كما نجد غي أشعار كبار المتصوفين.

١. فدوى طوقان الديوان، ص: ٢٧٦

الخاتمة

في نهاية هذا البحث، نستنتج أن الرمز في الأدب والشعر يمثل أداة تعبيرية قوية تعزز عمق المعاني ويجعلها أكثر تفاعلية مع المستلم. في هذا البحث، ناقشنا مفهوم الرمز، وشرحنا الفرق بينه وبين الرمزية، لأن الرمز هو رمز محدد وملموس، في حين تشير الرمزية إلى استخدام الرموز بشكل عام للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

استعرضنا حياة الشاعر، التي تجسد في شعرها العديد من الرموز الأسطورية والدينية والتاريخية. من خلال تحليل الرموز الموجودة في شعرها، أصبح من الواضح لنا أن كل رمز له دلالات ومعاني خاصة به، والتي تختلف بين التعبير عن الهوية والانتماء، إلى تجسيد الألم والأمل، في النهاية، من الواضح أن استخدام الرموز في الأدب ليس مجرد زخرفة لغوية، بل أداة فعالة تعزز التجربة الإنسانية وتعمق فهم القضايا المعقدة. تعطينا دراسة الرموز رؤى جديدة حول الذات والمجتمع، وتساعدنا على فهم الألم والآمال التي تشكل تجاربنا الإنسانية.

نطلب من الله أن هذه الدراسة أضافت قيمة لفهمنا للرمز في الأدب والشعر، وتأثيرنا على تقديرنا للأعمال الأدبية الغنية بالمعاني.

المصادر

1. سليمان موسى، شاعرا فلسطين إبراهيم و فدوى طوقان، مؤسسة عبد الحميد شومان، توزيع دار فارس، عمان – الأردن، ٢٠٠٦، ص١٤٣
2. د. إبراهيم أديب العلم، أطروحة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فرع الآداب، بعنوان : فدوى طوقان :أغراض شعرها وخصائصه الفنية، 1985، ص 7 .
3. ليانة بدر: فدوى طوقان ظلال الكلمات المحكية، دار الفتى العربي، القاهرة، ط١، 1996، ص15.
4. فتحية إبراهيم صرصور، في صالون نون الأدبي فدوى طوقان في مواجهة وعد بلفور، دنيا الوطن، ١٨/١٢/٢٠١٧
5. شاكر فريد حسن، سميرة الخطيب شاعرة القدس الحالمة.... رحيل صامت، صحيفة رأي اليوم، ١٣ يونيو ٢٠٢١
6. فدوى طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، سيرة ذاتية، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٣
7. مصطفى ابراهيم وحامد عبدالقادر و احمد حسن الزيات و محمد على النجار، المعجم الوسيط ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، ط ٥، ١٤٢٦هـ، ص ٣٧٢
8. سورة آل عمران، الأية :٤١
9. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمدبن مكرم لسان العرب بيروت – لبنان: دار صادر و دار بيروت، ١٩٨٦، ج 5، ص ٣٥٦
10. هلال غنيمى، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣، ص٣٩٨
11. الجندي، درويش، الرمزية فى الادب العرى ، مكتبة نهضة، مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤١

12. أبو اصبع ، صالح الحركة الشعرية فى فلسطين المحتلة، بيروت، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص٢٩٧
13. المعوش، سالم، الادب العربي الحديث بيروت – لبنان، دار النهضة العربية، ط ٢، ٢٠١١م، ص ٦٧٧
14. طوقان، فدوى، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٣، ص ٤٣٢
15. عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، ص228
16. سعد الدين كليب وعي ،الحداثة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا د ط، 1997، ص: 69.
17. محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز قراءات في الخطاب الشعري الصوفي المعاصر، دار بها الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، د ط، 2009، ص 40
18. عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية، ص179.
19. الخوري لطفي، معجم الأساطير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990 ، ط1 ،ص8
20. عجينة محمد، موسوعة أساطير العرب و دلالتها، 1 ، 9 ، ط 1 دار الفاربي، تونس، ص9 1994م
21. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2006 ،ص575.
22. نسيمة بوصلاح ، تجلي الرمز في الشعر الجزائري للمعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية ، ط 1 ، الجزائر، 2003 ، ص 112.
23. عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، ص٦٥
24. فتوح احمد الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ص199.
25. توفيق بن عمر، دراسات في الزهد والتصوف، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط١، 1999، ص 99